

مشروع أردوغان يتمدد إلى ليبيا والسيناريو السوري يتكرر

السيناريو السوري يتكرر في ليبيا. ما كان حربا اهلية يتحول الى حرب اقليمية ودولية، مع دخول اطراف كثيرين على الخط، واولهم تركيا التي بادرت الى التدخل عسكريا، في وقت تقف دول الجوار واولها مصر قلقة مما آل اليه الوضع بعدما صارت تركيا على حدودها الليبية المفتوحة على خطر الارهاب والتطرف

اظهرت اوربا رغبة في ايجاد حل سياسي لازمة، لأن ليبيا قريبة جدا وعلى مرمى حجر من ساحلها الجنوبي، ودخلت روسيا كشريك مضارب ساعية الى مد نفوذها في المنطقة، في حين يشبه التدخل العسكري التركي في ليبيا التدخل العسكري الروسي في سوريا في نهاية ايلول 2015. التدخلان قلبا الموازين رأسا على عقب، وان لم ينهيا او يحسما الحرب المفتوحة في البلدين على مزيد من الاستنزافات والتعقيدات والسيناريوات.

بدأت تركيا التدخل في ليبيا عسكريا عبر ارسال امدادات عسكرية الى حكومة الوفاق التي يرأسها فايز السراج في مواجهة الجيش الوطني بقيادة اللواء خليفة حفتر، ما ادى الى تصاعد التوتر بين الاطراف الليبية المتحاربين. باشرت انقرة التخطيط لوضع اقدامها في ليبيا رسميا عبر توقيع مذكرتي تفاهم بين رئيس حكومة الوفاق فايز السراج والرئيس التركي رجب طيب اردوغان في 27 تشرين الثاني الماضي، الاولى تتعلق بالتعاون الامني والعسكري، والثانية بتحديد مناطق الصلاحية البحرية في البحر المتوسط. سبق ذلك استقبالها للقيادات والكوادر المحسوبة على الاخوان المسلمين والجماعة الليبية المقاتلة، وجعلت من اراضيها ملاذا لمنتمسي تيار الاسلام السياسي، وكانت ترجمته موافقة اخوان ليبيا على مذكرة التفاهم وعلى مجيء القوات العسكرية التركية الى بلادهم، لحماية مصالح انقرة البحرية في البحر المتوسط من جهة،



المشروع التركي في المنطقة له بعدان: اقتصادي وايدولوجي.

تركيا اصبحت اللاعب رقم واحد في ليبيا وروسيا نجحت في ايجاد موطئا قدم

وصد العدوان على طرابلس من جهة ثانية. مسارعة اردوغان الى توقيع الاتفاقات الامنية والاقتصادية مع حكومة الوفاق

الوطني، تهدف الى حماية خطط تركيا والتمدد في مياه البحر المتوسط وتوسيع نفوذها في مواجهة اطراف اقليمية تضم مصر واليونان وقبرص واسرائيل، والى استثمار مخزون الغاز والنفط المكتشف في المنطقة، والاستفادة من اجواء الحرب الليبية للخروج بحزمة مكاسب تمكنها من رسم خارطة البلد الغني بالنفط، على نحو يخدم مصالحها: بيع السلاح وتجريبه، والاستحواذ على اكبر قدر من كعكة النفط الليبي مستقبلا، والمشاركة في اعمار ليبيا.

يشكل البعدان الاقتصادي والايديولوجي دافعين اساسيين لاردوغان في غالبية

لامبالاة اميركية حيال الملف الليبي واوروبا بين انكفاء وانقسام

يعود ذلك الى تنامي الدعم التركي لها، بينما كانت معظم دول العالم مشغولة بمكافحة جائحة كورونا، وفي ظل غياب اي افق لحل سياسي منذ استقالة المبعوث الاممي الخاص غسان سلامة مطلع اذار الفائت. حصل كل ذلك عبر اختبار الخطوط الحمر الدولية التي تبين مع الوقت انها غير موجودة في ظل لامبالاة واشنطن بالملف الليبي وانقسام الدول الاوروبية.

سلسلة الانتصارات السريعة التي تحققت في غرب ليبيا تشير الى ان تركيا اصبحت اكبر طرف خارجي فاعل في ليبيا، ولاعبا يمتلك بطاقات اللعب الحاسمة مع مختلف القوى الاجنبية التي تناضل من اجل السيطرة والبقاء داخل اكبر ساحات الحرب بالوكالة في منطقة الشرق الاوسط. لكن ثمة محاذير تأخذها انقرة في الاعتبار، ابرزها:

- عمليات القتال المحتمدة في ليبيا، المدفوعة بفيضان متدفق من الاسلحة والمعدات الاتية من الخارج، والطائرات الحربية، والجنود المرتزقة، من شأنها تحويل الصراع الليبي الى حرب صريحة بالوكالة بين مختلف القوى الخارجية.

- عدم توسيع نطاق تدخلها الى شرق البلاد، ويعود ذلك الى خشيتها من الاقتراب مما تعتبره مصر مجالها الحيوي في ليبيا.

- محاولة حلفاء حفتر تصعيد الحرب الاهلية في ليبيا باسلوب جديد، بعدما تخلت روسيا عن فكرة سيطرة حفتر على كامل البلاد، مع مواصلة دعمه بالاسلحة. الخطة الجديدة تتمثل في تقسيم البلاد الى شطرين، ما يعني ان الحرب في ليبيا قد تتصاعد في المرحلة المقبلة.

- تحذيرات الاتحاد الاوروبي من تدخل تركيا وقوى اجنبية في الحرب هناك، ومن ان التدفق الهائل للأسلحة والمترزقة سيتسبب في توسيع امد الحرب الدائرة فيها واطالتها.



روسيا وسعت نطاق تدخلها من سوريا الى ليبيا في اول اختراق من نوعه وحجمه.

دفاعي لقوات حكومة الوفاق الى مبادرة الهجوم والتوسع ميدانيا. بدأ الامر بارسال عربات مدرعة واسلحة متوسطة، ليتطور ويشمل خبراء عسكريين وطائرات قتالية مسيرة كان لها الاثر الاهم ميدانيا، وانتهت بارسال الاف المقاتلين السوريين المنتمين الى فصائل موالية لها، اغرتهم بالمال ووعود التجنيس وبالتهيب ايضا. تشهد ليبيا منذ شهرين اهم تطورات عسكرية منذ اطلاق المشير خليفة حفتر هجومه الفاشل للسيطرة على العاصمة طرابلس قبل اكثر من عام. حققت حكومة الوفاق الوطني مكاسب ثمينة، وصار لها اليد العليا في شمال غرب البلاد.

المشكلة ان اردوغان الذي تخلى عنه اهم رفاقه في حزب العدالة والتنمية، انه وهو رئيس دولة علمانية لا تزال على علمانيته التي اختارها لها مصطفى كمال اتاتورك حتى الان، قد تسلق شجرة الاخوان المسلمين واصبح عمليا مرشدا عاما لهم. المستغرب انه يصر على عثمانية ليبيا، ويواصل التأكيد على انه لن يتخلى عن اترك ليبيا (كورد اوغلو)، وان تركيا لن تتخلى عن مسؤوليتها التاريخية تجاه الشعب الليبي الممتدة لنحو 500 سنة.

تدخل تركيا في ليبيا حصل بشكل تصاعدي، وانتقل تدريجا من تأمين وضع

التدخل التركي يقلق أوروبا

الدور المتعاظم الذي تلعبه تركيا في ليبيا بفضل تدخلها العسكري المباشر، يوازيه قلق اوروبي متعاظم كان الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون السباق في التعبير عنه في قمة برلين مطلع العام عندما شن هجوما غير مسبوق على تركيا التي تجلب العتاد والسلاح والخبراء، وخصوصا المرتزقة السوريين للقتال في ليبيا الى جانب حكومة فاخر السراج، ومحاولة تسخير الحلف الاطلسي لخدمة مصالحها وطموحاتها، ان سوريا او في ليبيا ومياه المتوسط. وترى باريس ان تركيا تتصرف بشكل غير مقبول عبر استغلال الحلف الاطلسي، ولا يمكن لفرنسا السماح بذلك، وان النفوذ التركي يشكل تهديدا استراتيجيا للمصالح الفرنسية والاوربية على السواء، وان تركيا في حال نجحت في مشاريعها، فانها ستجذب حضورها في ليبيا وستجعل منها منصة للتمدد في اتجاه بلدان اخرى. وفي حال حصلت تركيا على ما تريد، وهو المرجح، فان حضورها في ليبيا سيكون بشكل دائم وسيقوى مع مرور الوقت فيما سياترجم الحضور الاوروبي - الغربي، وبالتالي فان الدفاع عن المصالح الاوروبية، اكان في موضوع الهجرات والنفط والغاز في مياه المتوسط والمصالح الاستراتيجية والسياسية سيضعف، وستكون باريس ومعها روما الخاسرين الاكبرين لانهما كانتا الاكثر حضورا اوروبيا في ليبيا.



قلق اوروبي متعاظم من نفوذ تركيا في ليبيا.

رسالته بلهجة هادئة وحازمة، وان مصر لا تستطيع ولا يمكنها الاستقالة من دورها، ولا ان تدير ظهرها لليبيا، ليس فقط لانها عربية وانما ايضا لانها تعني دور مصر واستقرارها ومصالحها الحيوية. امام القوات المصرية، اعلن السيسي ان مصر لن تقبل بوجود تهديد على حدودها الغربية، وان سرت خط احمر.

خطة التدخل المصري صارت جاهزة للتنفيذ في حال اكملت تركيا اندفاعاتها في اتجاه الخط الممتد بين سرت وجفرا، وهذه الخطة المتدرجة تتضمن استعدادا للتدخل فورا في تحركه ستنفذه القوات الجوية اولا، على ان يتبعه تحرك للقوات البحرية والبرية. مما لا شك فيه ان القرار المصري قرار صعب ودقيق، ويأتي في مرحلة تشدد فيها الضغوط الاقتصادية والسياسية والمائية على مصر، في ظل حالة من الغموض وعدم اليقين تسيطر على الموقف الدولي في ليبيا، خصوصا الموقفين الروسي والاميركي، وفي ظل مخاطر التورط في المستنقع الليبي كما حصل مع السعودية في اليمن. لكن لم يكن في استطاعة القاهرة ان تغض النظر عن التدخل التركي في ليبيا بعدما تجاوز حدوده السابقة التي كان بالامكان التغاضي عنها، وعندما صار يهدد دور مصر واستقرارها. تدخلت مصر مستندة الى تفهم دولي (اوروبي خصوصا)، والى دعم خليجي سياسي ومالي (اماراتي وسعودي). تدخلت لوقف التقدم الاستراتيجي التركي في ليبيا والمنطقة، ولحفظ الامن القومي العربي والمصري. هذا التدخل يفتح صفحة جديدة ويطلق مرحلة مختلفة في ازمة ليبيا التي سلكت طريق التدويل منذ مدة، وتشهد تشابكا فظيحا في خيوط وشبكات المصالح الاقليمية والدولية، وسط تأرجح وسباق بين التصعيد العسكري والحل السياسي.

بعدها قطعت تركيا شوطا بعيدا في تثبيت اقدامها ووجودها. لكنه كان محتما وخيارا مفروضا على مصر في مسألة تتعلق مباشرة بامننا القومي تماما، مثل موضوع النيل وسد النهضة الاثيوبي، ومثل موضوع غزة وامن سيناء. ليبيا تفرض نفسها اولوية في الاهتمام المصري كونها الجارة القريبة التي تمتد على حدود مشتركة تصل الى 1200 كلم، اضافة الى تاريخ العلاقات الاقتصادية ومستقبلها بين البلدين، ودور مصر في ايجاد حل سياسي للزمة المتدرجة فيها. الهم من كل ذلك، ان مصر لا يمكنها ان تقبل بوجود خطر التنظيمات الاسلامية المتطرفة على حدودها، ولا خطر تنامي نفوذ الاخوان المسلمين وتيار الاسلام السياسي بدعم من تركيا، ولا يمكن ان تقبل مصر تدخلا عسكريا تركيا في ليبيا فاق كل توقع وتجاوز كل حدود بعدما صار تدخلا مباشرا وهدافا الى قلب المعادلات على الارض والانتقال الى مرحلة فرض الشروط حول المستقبل الليبي، بعد السيطرة على سرت وجفرا حيث يقع الهلال النفطي الليبي الفائق الهمية بالنسبة الى امن تركيا الاقتصادي. وقد بدا واضحا ان اردوغان يطمح، بعدما نجح في تحقيق تقدم سريع وغير متوقع، الى اكمال حملته في اتجاه سرت لاسقاط اللواء حفتر ميدانيا وسياسيا وشطبه من المعادلة.

عندما تجاوز التدخل التركي حده ولامس الخطوط الحمر المصرية وانتقل الى مرحلة فرض الشروط، اتخذت القيادة المصرية قرارها بالتدخل ردا على تمادي تركيا ولاقامة توازن على الارض، بما يسهل عملية التوجه الى الحل السياسي انطلاقا من المبادرة المصرية التي لاقت ترحيبا دوليا، وسارعت تركيا الى اجهاضها. اختار الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي القاعدة العسكرية في مدينة مطروح قرب الحدود الغربية مع ليبيا لايصال

الدور العربي في مجريات الاحداث الجارية في ليبيا غائب تماما

وهي الاقرب الى سواحلهم الجنوبية. 2- تركيا توسعت من سوريا الى ليبيا واعتمدت في الدولتين طريقة التدخل المباشر واستخدام القوة العسكرية. اذا كان المشروع الايراني التوسعي في المنطقة العربية هو المشروع الذائع الصيت، فان المشروع التركي ينافس في المضمون الاستراتيجي ويوازيه على المسرح الاقليمي، في مقابل تغلغل ايران في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن، وليبيا وتونس وقطر وغزة. 3- غياب الدور والتأثير العربي في مجريات الاحداث الجارية. هذا الغياب ترسخ بفعل تطورات الربيع العربي التي شغلت الدول العربية باوضاعها الداخلية، وحرب اليمن التي شغلت واستنزفت دول الخليج، اضافة الى وقوع الدول العربية بين فكي كمشاة المشروع الايراني المتغلغل والمشروع التركي المتمد. هذان المشروعان المؤثران على الامن القومي العربي، حولا الانظار عن خطر استراتيجي مستدام يتمثل في اسرائيل.

غير ان هذا الغياب العربي كسره قرار مصر بالتدخل العسكري المباشر، في موازاة التدخل التركي ولاة إعادة التوازن على الارض. تدخل مصر في ليبيا تدخلا عسكريا ومباشرا، كان متوقعا له ان يحصل في يوم من الايام. وربما جاء التدخل المصري متأخرا بعض الشيء

◀ - حصول مواجهة بين تركيا وروسيا الداعمة لحفتر، بحيث ان كلا البلدين يسعيان الى تحديد مجالات نفوذ في ليبيا. تركيا تعتبر ان حصول روسيا على ترخيص لاستخراج النفط مع حفتر في المناطق الواقعة شرق البلاد يهدف الى البقاء في المنطقة، ما يمكنها من الحفاظ على الوضع الحالي لحفتر بدلا من تشجيع التحول نحو غرب البلاد، لذلك فان روسيا ستعمل جاهدة من اجل تقسيم البلاد. كذلك ستحاول المقاتلات الروسية القضاء على النجاحات العسكرية التي حققتها قوات الوفاق بدعم من تركيا. ويتوقع ان تزيد روسيا دعمها لحفتر، لانه يحتاج حاليا الى جميع اشكال الدعم الخارجي حتى يحافظ على ماء وجهه، خصوصا وانها لا تبدو على استعداد للانسحاب من ليبيا التي اصحت بالنسبة اليها بعد سوريا، جزءا من استراتيجيتها للتأثير في المنطقة. هذا الامر بات مبعث قلق للولايات المتحدة الاميركية لأن موسكو وتركيا تحاولان بشكل واضح قلب الميزان لصالحهما في ليبيا، لذا تسعى واشنطن الى احباط هذه المحاولة لأن ذلك سيؤدي الى تهميشها، ويمنح روسيا وتركيا نفوذا طويلا في الامد في البلد القريب من اوروبا. لذلك تضغط على روسيا وتركيا لتشجيع الجيش الوطني الليبي وحكومة الوفاق على العودة الى مفاوضات الامم المتحدة. ليبيا هي مركز الحدث في المنطقة هذه الايام، وقد شهدت تطورات عسكرية متسارعة نتيجة التدخل العسكري التركي الفاضح والتدخل الروسي الناعم. من وحي ما يجري في ليبيا، يمكن الخروج بثلاث خلاصات - استنتاجات رئيسية:

1- روسيا وسعت نطاق تدخلها من سوريا الى ليبيا في اول اختراق من نوعه وحجمه خارج الساحة السورية. هذا يحصل في ظل غياب الاوروبيين وانكفائهم عن ليبيا مع انهم اكثر المعنيين بامننا وحربها،